



الجورب الوردى

للقصصى الروسى تشيكيوف

أخذ السحاب الجون يتكاثف حتى حجب السماء، وطبق الأرض، وأرسل المطر هتان، حتى أصبح إقلاعه بعيداً أمده. فجاء اليوم عابس الوجه. لا ترى فى أرضه غير البرد الساقط، وطير الزاغ ويبلله القطر، وفى داخل المنازل امتد غيش الليل واشتد قارس البرد حتى أمسيت تشعر بالحاجة الشديدة لحرارة المدفئة.

كان بافيل بتروفيتش سوموف يروح ويغدو فى مكتبه متأففاً من الجو متبرماً به، فسفغات المطر للنوافذ والظلام الشامل للغرفة حملاه على الاستياء الشديد والتذمر المر، ولقد كان ضجره لا يحتمل وما كان فى يديه ما يشغله. فالجريدة لم تصل إليه حتى الساعة والصيد متعذر حصوله، صعب بلوغه، وما كان الوقت وقت عشاء.

لم يكن سوموف وحيداً فى غرفة عمله، فقد جلست إلى مكتبه مدام سوموف وهى حسناء نحيلة فى غلالة بيضاء وجورب وردى، وكانت منهمكة فى تحرير رسالة، وكان إيفان بتروفيتش عندما يحاذيها فى جيئته وذهابه ينظر من وراء كتفها ما تكتب فى حروف كبيرة ودقيقة وضيقة منمقة غاية التتميق! لها ذبول وبها كثير جداً من الطمس والمسح والتلوين وأثر الأصابع، وكانت مدام سوموف لاتحب الورق المسطر، وكل سطر تكتبه ينحدر بتعرجات قبيحة حتى ينتهى إلى الهامش.

سأل سوموف زوجه حين رآها تبدأ الكتابة فى الصفحة السادسة «لمن تكتبين مثل هذه الرسالة الضافية باليد وتشكا؟»

— إلى الأخت فاريا

— أوه! .. خطاب مسهب .. أنى ضجر .. دعيني أقرأه

— لك أن تقرأه .. بيد أنه لا يلدك

تناول سوموف الصفحات المكتوبة وهو يذرع أرض الغرفة

وأخذ يقرأ ..

أرتفعت ليدوتشكا على ظهر كرسيها وجعلت ترقب ما على وجهه من تعابير .. استطال وجهه بعد الصفحة الأولى وظهرت عليه ملامح الرعب!! وفى الصفحة الثالثة قطب جبينه وحك مؤخراً رأسه، وفى الصفحة الرابعة أمسك عن القراءة ونظر بوجه المرتاع إلى زوجه .. وتظاهر بالتأمل .. وبعد تفكير قليل تناول الرسالة ثانية وهو يتأوه وعلى وجهه أثر الارتباك والحيرة ثم الارجاف والفرع.

لما فرغ من قراءة الرسالة قال متمتماً: «حسن! .. هذا لا يجوز! ورمى بالأوراق على المكتب، هذا لا يصدق، مافى ذلك ريب ..»

فسألته ليدوتشكا وقد امتقع لونها: ما الخبر؟

— «ما الخبر؟ تملأين صفحات ستا وتمضين ساعتين فى خرفشة لا معنى لها ولا طائل تحتها ... ولا شئ فيها بالمرّة .. آه لو كان بها ولو فكرة ضئيلة! يقرأ المرء ثم يقرأ وفكره مشوش، وذهنه مضطرب كأنما يفك اغلاقاً صينية عن صناديق شاي! أوه!

قالت ليدوتشكا وقد ضرج وجهها الحياء: هذا صحيح يافانا .. كتبتة دون عناية

— أجابها: أهال زائد عن الحد .. ففى رسالة غير منمقة ولا محبرة ... معان وأسلوب .. وأحاساس، أما رسالتك فساحيى، ان قلت لك بأنى لا أذوق لها طعماً .. جمل وكلمات لا احساس فيها ولا معنى لها .. خطابك جميعه .. كحادثة بين صبيين «عندنا عجة اليوم .. جاء جندي ليرانا ..» انك تكرر المعنى الغث البارد لك أن تزيه وتعيد به بنفسك .. أما الفكرة السخيفة فترقص بين السطور كالشياطين ولا حد عندك للبدء من النهاية .. كيف تكتبين هكذا؟

قالت ليدوتشكا تدافع عن نفسها: اذا كنت أكتب بتجويد وعناية .. لا يمكن أن تكون هناك غلطات

فاجابها زوجها: اننى لا أتكلم عن الاخطاء .. الاخطاء التحوية

المروعة . لا يوجد سطر لا يعد اهانة شخصية للنحو . لا وقف ولا علامات ولا هجاء ! إنه يأس مريع ! اننى لا أمزح يا ليذا فانا مروع فزع من رسالتك ، لا تحزنى يا عزيزتى فما كنت أظن فى الواقع أنك تجهلين النحو هكذا . . . مع أنك تنتمين الى بيئة مثقفة ودرجت فى بيت علم . فانت زوجة رجل جامعى وابنة قائد . قولى لى أذهبت الى المدرسة ؟

— نعم لقد تعلمت فى مدرسة فون ميكي الداخلية

فهر سوموف كتفيه واستمر فى مشيته متأوها . . . أما ليدوتشكا العالمية بجملها فتهدت ثم نكست رأسها . مرت عليهما دقائق عشر ما نطقا فيها بحرف

وقف سوموف فجأة أمامها ونظر الى وجهها برعب وقال : إنك تعرفين يا ليدوتشكا أن الأمر جد ! أنك أم ! . . . أتفهمين ؟ أم ! . . كيف تعلمين ببيك اذا كنت لا تفهمين شيئا ؟ أنك ذات عقلية خصبة وذهنية نيرة . . . ولكن ما جدوى ذلك اذا كنت تجهلين كل شيء . فلا تعرفين شيئا من الآداب ولا من العلوم على أننا سنغض النظر عن المعارف ، لان الاطفال سيتعلمون ذلك فى المدرسة ، ولكنك تعرفين ضعفك فى الادب وبلادتك فيه ، تستعملين فى بعض الأحيان لغة تجعل أذننى فى طنين !

ثم هز سوموف كتفيه مرة أخرى وجمع اليه ثوبه واستمر فى سيره . . . شاعرا بالغىظ والحق ، وفى الوقت نفسه آسفا على ليدوتشكا التى لم تحتج ولم تعترض ، ولكنها اكتفت بأن ترمقه من طرف خفى . وأحسا معا بالضيق الجاثم على قلوبهما ، والهم المتمكن من نفسيهما ، حتى أذهلهما الحزن عن كل شيء فلم يدريا كيف مر الزمن وكيف قربت ساعة العشاء .

ولما جلسا للطعام شرب سوموف المولع بالطعام الشهى الهنى قدحا كبيرا من الفودكا وشقق الحديث فاداره على وجوه آخر . وكانت ليدوتشكا تسمع لما يقول مسلية راضية . يسد أنها وهى تشرب الحساء اخضلت عيونها بالدمع ثم خنقتها العبرات .

فنهت دمعها بمنديل وقالت : « إنها غلظة والدتى ! نصحبها جميع الناس بارسالى الى مدرسة عالية ، ومن هناك كنت على يقين من ذهابى الى الجامعة »

فتمتم سوموف « الجامعة ! . . . مدرسة عالية ! . هذا كثير بابنتى ! ما الفائدة من أن تكونى احدى ذوات الجورب الأزرق الجورب الأزرق هو الشيطان الرجيم فى نار الجحيم !! لا يمسى صاحبه رجلا

ولا امرأة ، وانما يكون شيئا بين بين ، أنى أبغض من كل قلبى الجوارب الزرقاء . . . ولن أتزوج امرأة متعلمة »

فاجابته ليدوتشكا ! لا أدري كيف أفهمك ؟ تغضب لأنى لست متعلمة وفى الوقت نفسه تكره النساء المتعلمات ! لقد تنكرت لى وسخرت لى لان رسالتى كانت خلوا من كل فكرة ، فارغة من كل معنى ، ومع هذا فانت تعارض فى دراستى ولا تستحسن تعللى « — لقد أصبت شاكلة السداد يا عزيزتى قال هذا سوموف وهو يتشاب ثم ملأ قدحا آخر من الفودكا .

تحت تأثير الفودكا والطعام الجيد أصبح سوموف أكثر رقة ودماثة . أخذ يرقب باهتمام زائد زوجه الحسناء وهى تعمل التوابل . فغمره فيض من الحنان المحض والحب الشديد ، ودفعته عاطفة ملحة الى النسيان والتسامح ، ثم أخذ يحدث نفسه ويلومها : « إنها غباوة منى أن أغضب هذه الفتاة المسكينة ! ما الذى حملنى على الجهر بكل هذه الأشياء الجارحة . إنها غبية . ذلك حق . . . غير مثقفة . . . سطحية . . . بيد أن المسألة وجهين

« والوجه الآخر مفهوم ربما يكون الناس على حق عند ما يقولون أن سطحية المرأة ترجع الى حرقها . ومن المسلم به أن من عملها أن تحب زوجها وتربى أطفالها ، ثم تصنع التوابل !! فما الذى ترجوه من التعليم ؟ لا شيء على التحقيق .

وهنا ذكر ان النساء المتعلمات غالبا مملات يبعثن الضجر والسأم فى النفس ، ثم هن دقيقات صارمات عنيدات . ولكن ما أيسر توفيقك مع الغبية ليدوتشكا التى لا تشمخ بانفها . . . ولا تصعر خدها ولا تفهم كثيرا . . . أنه السلام والراحة مع ليدوتشكا ولا خطر منها على المرء أبدا : « لعنة الله على أولئك النسوة البارعات المتعلمات ! ولخير للمرء وأحسن عقبي أن يعيش مع الساذجات منهن . ثم دار بخلده وهو يتناول صحن من لحم الفروج من ليدوتشكا أنه فى بعض الأحيان قد يشعر الرجل المثقف بالرغبة الشديدة فى الحديث ومبادلة الافكار مع امرأة حاذقة كاملة التعليم . ولكنه قال : « ما هذا » إذا رغبت فى التحدث عن موضوعات عقلية . . . فسادهبلى (ناتالا أندريفنا) أو الى (ماريا فرانتسوفنا) ، هذا سهل جدا . . . ولكن لا . لن أذهب فالمرء يستطيع البحث فى الامور العقلية مع الرجال . ثم قطع به — هذا أخيراً !!!

محمود البدوى